قيمة الرضا بأقدار اللّٰه عزّ وجلّ في نفس المؤمن

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

رجب ١٤٤٤ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامّة:

- منهجنا الكتاب والسُّنَّة على فهم السّلف الصّالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطَّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ- فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفِّق لما يحبُّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الرضا بأقدار الله في نفس المؤمن

أُلقي في ١٧ رجب عام ١٤٤٤ من الهجرة النبوية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنِّه وكرمه أن يمتِّعنا بالعلم وبالاجتماع حوله، وأن يحسن لنا خواتيمنا، وألّا يفجعنا في نفوسنا ولا في أحبتنا، اللهم آمين، اللهم ارفع عن المسلمين ما وقع بهم، اشفِ مرضاهم، وارحم موتاهم، وعوّضهم ما فقدوا من دنياهم يا رب العالمين، اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين.

من الأمور الصعبة على نفس الإنسان أن يتصوَّر مثل هذه اللحظات بل الثواني التي مرت على المسلمين (زلزال تركيا وسوريا)، نسأل الله عز وجل أن يرفع عنهم وأن يجعلها أجورًا لهم يوم القيامة وكفارات ورفعة للمنزلة، وأن يحفظنا ويحفظ ديار المسلمين.

وسبحان الله كنا نتكلم الأسبوع الماضي عن دعاء «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[١]، وكيف أن هذه أحد المخاوف العظيمة التي تفجع الإنسان أن يُغتال من تحته، لأن كل مصيبة من جانبك أو من خلفك أو من أمامك أو

[١] رواه أبو داود (٥٠٧٤).

من فوقك تتَّقيها بشيء، أما إذا كانت مِن تحتك جاءت بهذا الوصف «أُغتال» بمعنى أن هذا أمر نادر أن ينجو منه الإنسان، ونسأل الله أن ينجيهم جميعًا.

على كل حال، مثل هذه الحوادث تعيد لنا مرة أخرى صحة التفكير، وأننا جميعًا في قبضة الله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١]، ونحن نؤمن بقهره ونؤمن بحكمته سبحانه وتعالى.

والدنيا دار المصائب، تصيب المسلم والكافر، البر والفاجر، لكن لما تقع مثل هذه المصائب الكبيرة التي تدلُّ على عظمة رب العالمين -خصوصًا أنها جهة فيها مسلمون- فلا بدَّ أن أن يقع في قلبك أنها استعتاب كما ورد في النصوص، رب العالمين يستعتبنا أن نعود إليه ونتوب ونستغفر، وأنت تظن في رب العالمين أنه أراد بك وبمن وقع عليهم الخير، والخير لا تتصوَّره صفاء الدنيا ونعيمها، لأن حياتك يا ابن آدم في جزأين:

- جزء أنت مختبَر فيه.
- وجزء تخرج النتائج فيه.

فالسعيد هو الذي تخرج نتائجه بالفوز في الآخرة، الناس كلهم مختبَرون في الدنيا، لكن أهم شيء في الجزء الثاني من القصة وهو الجزء الخالد أن نكون من الفائزين! أسأل الله يجعلنا ويجعل والدينا ووالديهم وذرياتنا ومن وقع عليهم هذا البلاء ومن تأثَّروا به من الفائزين، اللهم آمين.

---

[١] الأنعام: ١٨.

ومناسب جدًّا مع هذا الموضوع مناقشة **قيمة الرضا بأقدار الله**، وماذا نظن بالله وقتما يقع المصاب، والرضا بالقضاء والقدر هو جزء من مفهوم الرضا العام الذي مرَّ معنا في هذه الدورة[1].

وقد ذكرنا أن قيمة الرضا تكاد تكون القيمة الأساسية في حياة الإنسان.

لماذا؟ كنا في كل مرة نُعلِّل السبب لماذا هي القيمة الأساسية، وهذه المرة سنُعلِّله من جهة الرضا بالأقدار، فالأقدار تسلط الضوء على أن الرضا قيمة أساسية من أهم القيم التي يعيش بها الإنسان المؤمن.

ولا بدَّ أوّلًا أن نقف عند (القدَر) لنتكلم عن (الرضا بالقدَر):

• ما هو القَدَر؟

سُئل الإمام أحمد عن القدَر فقال: "القَدَرُ قُدْرَةُ الله"[2].

فالقدر لا نُفكِّر فيه من جهات بعيدة عن إيماننا بالله، يعني عندما نتكلم عن القدَر لا بدَّ أن نتصوَّر أنَّ هذا القدَر إنما هو إظهار لقدرة الله.

• فيمَ تتجلَّى قدرة الله في الأقدار؟

تتجلَّى في أنه سبحانه قدَّر الأقدار قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، وكتبها في كتابه سبحانه، ويظهر في تقديره الحكمة التامة والقدرة التامة والعلم التام، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ

---

[1] دورة قيمة الرضا.

[2] مسائل أحمد برواية ابن هانئ (١٨٦٨).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]، فهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم سبحانه وتعالى.

هذه الصفات العظيمة لرب العالمين نتج منها في يقينك أنه سبحانه قدّر هذه الأقدار قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام على حكمته وعلمه سبحانه وتعالى، تفهمين من هذا عظيم الحكمة وعظيم العلم في أقداره سبحانه وتعالى، هذا مكتوب قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام.

• متى تقع الأقدار المكتوبة؟

كل شيء يقع في وقته، ركزوا معي هنا، سننفصل قليلًا عن القضاء والقدر ونذهب لمسألة وقوع الأشياء في الدنيا على قدَر الله:

اكتبوا ثلاثة أسماء من أسماء الله وردت في كتاب الله متصلة: الخالق، والبارئ، والمصور سبحانه وتعالى، هذه الثلاثة أسماء تفسّر كيف يقع القدَر كما قدّر سبحانه وتعالى، وهي تفسير للفعل (خلَقَ)، وسنرتبها بالتفصيل ثم نجمعهما مع بعضها.

لما تأتي الأسماء الثلاثة معًا وتفسر كيف الأقدار تقع، ستفهمين أن:

- (الخالق): معناه في هذا السياق: المُقَدِّر، يعني الذي يُقَدِّر الأقدار.
- و(البارئ): يبرأ الأقدار ، أي يوقعها في الزمان المحدد والمكان المحدد.
- و(المصوِّر): أي يصوِّرها على الصورة التي أرادها.

---

[١] الحديد: ٢-٣.

بهذا تفسِّر الأسماء الثلاثة وقوع الأقدار، يعني قدَّرها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، ثم برأها يعني أوقعها وأوجدها بالصورة التي قد قدّرها.

فهذه الأسماء الثلاثة كأنها تفسّر الخلق، يعني نحن نعلم أن رب العالمين يقول للشيء: كن، فيكون، لكن من تمام حكمته سبحانه وتعالى أن هذه الأقدار عبارة عن منظومة عظيمة كلها حكمة، وكلها تُحقِّق الغرض من وجود الإنسان هنا، أنت هنا موجود للاختبار، فكل الأقدار تُحقِّق هذا الغرض، وأنت في هذه الأقدار مختبَر، كل قدَر يمر عليك كأنه ورقة اختبار، وأنت تسجّل مع الملائكة ماذا تقول في هذا الاختبار.

ولذلك إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، يعني كل القضية التي أنت مختبَر بها: ما ظنُّك برب العالمين عندما قدّر الله الأقدار في الأزل ثم برأها في الواقع على الصورة التي أرادها؟

وفي آية فصّلت: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، يعني الذي تظنُّه هو الذي يرفعك أو يُرديك وقتما ينزل القدَر.

نحن نتكلم عن قضية شائكة، فلا بدَّ أن نعيد ونزيد فيها ونرتبها حتى تجتمع ونعرف ما هي وظيفتنا، ثم أي أسئلة أخرى خارج هذا الإطار فنستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لأنها تأتي من وساوس الشيطان.

[1] سورة الصافات: ٨٧.

[2] سورة فصلت: ٢٣.

نعيد الكلام مرة أخرى:

قيمة الرضا أحد أركانها المهمّة: الرضا بالأقدار، وبالمناسبة لحدث الزلزال الذي نعيش فيه لا بدَّ أن يكون ظن الإنسان في رب العالمين ظنًّا حسنًا، حتى لو ظهرت الأشياء في عينه خلاف ذلك، هذا يرجعنا لفهم ما معنى الرضا بالقضاء والقدر، ولأجل أن أعرف الرضا لا بدَّ أن أرجع لمعنى القضاء والقدر نفسه: ما هو القدر؟ وهنا يدخل علينا كثير من الفلسفات والكلام! وهنا نتذكّر كلمة الإمام أحمد ونحفظها، وهذه نقطة البداية:

قال الإمام أحمد: "القَدَرقُدرَةُ الله".

يعني أن في القَدَر تظهر قدرة الله، والقَدَر من القُدْرة، يعني من نفس جذر الكلمة، هذا القَدَر يدلُّ على عظمة الله.

• كيف تظهر قدرة الله في القدَر؟

تظهر في أن الله سبحانه قدّر القدر ثم أوقعه على ما قدّره، ولأجل أن تحفظي هذه الكلمات تحفظين الأسماء الثلاثة: الخالق والبارئ والمصور.

لمَّا تأتي الأسماء الثلاثة معًا في نفس السياق فمعناها: الخالق الذي قدّره في الأزل، ثم البارئ الذي أوجده على ما قدّره بالصورة التي أرادها.

ولذلك القدر هو قدرة الله؛ لأنه يقع كما أراد سبحانه بالصورة التي أرادها، وفي الثانية التي أرادها، وتعرفون أن الزلزال الذي وقع ما بلغ دقيقة! سبحان الله! تنقلب الدنيا في ثوانٍ، وكلُّه يدلُّ على قدرة الله، وأنه مقدّر، وأنه لا شيء كان سيمنعه.

ثم تخرج لنا أصوات شاذة: هذا يقول: كنتم منعتموه بكذا! وهذا يقول: كان تدخّل كذا! هذا الكلام سمعناه في تسونامي إندونيسيا وأزعجونا بأنه لو كان فيه حسّاسات في البحر ولو كان فيه كذا! ثم أن الله أشهدهم على ضعفهم وجاء تسونامي اليابان بعده مباشرة ليؤدِّب الجميع!

فنحن لا نريد أن نعيد نفس الخطأ الذي عاشه الناس في تلك المصيبة وفي كورونا وفي غيرها من الأمور التي ربنا يُربِّينا ربنا فيها، والناس يسمعون تفسيرات تشغلهم عن العبادات المقصودة في هذه اللحظة، هناك عبادات يجب أن تقوم بها، ومنها الرضا بالقضاء والقدر.

• كيف يقع القدَر؟

كما ذكرنا: الله الخالق قدّر في الأزل، البارئ برأه وأوجده، المصوِّر صوَّره على الصورة التي أرادها سبحانه وتعالى، بهذا فهمنا كيف أن القدر هو قدرة الله عز وجل، تقع الأشياء لأنها مقدّرة يعني مكتوبة في القدَر، ثم تقع كما شاء الله بهذه الأسماء الثلاثة.

• أين الحكمة في الأقدار؟

الأقدار كلُّها حكمة، هذا يقيننا أنها كلَّها حكمة.

وهنا لا بدَّ أن نعرف حدودنا، حدودنا تقول أنني لا يمكنني أن أدرك حكمة الله، لكن الفرق بين المؤمن والمنافق والكافر أن المؤمن مطمئن لإيمانه، وهذه كلمة مهمَّة جدًّا في الإيمان.

ماذا يعني عندما تقولين: أنا مؤمنة؟ يعني أنا مطمئنة للأخبار الغيبية وما عندي شكٌّ فيها، يعني عندما أُفسِّر حكمة الله وأقول: أنا متأكدة أن الله حكيم، وأن هذا الشيء فيه حكمة وأنا لا أدركها، فأقول هذا الكلام وأنا مطمئنة، لأن أي شكوك فيها فمعناه أن الإيمان فيه ضعف.

فأنت ترضى بالقضاء والقدر يعني أن تعرف أن هذا القدَر ما أتى عشوائيًّا أبدًا، له أسباب نعم، كالزلازل والخسوف والكسوف، لها أسباب لأن الله جعل لكل شيء سببًا، لكنه سبحانه هو الذي يسوق الأسباب لإيقاع القدَر أو يمنعها، هو قادر على ذلك.

ولذلك تجدين أن أناسًا تأثّروا بهذا القدَر وأناسًا مجاورين لهم وما تأثّروا، كما رأينا في الصور هذا الشارع مَن على يمينه تأثّروا ومَن على شماله ما تأثّروا! لماذا؟ هذه قدرة الله، هو الخالق قدّره ثم أوقعه كما شاء على الصورة التي شاءها، والصورة التي شاءها يعني أن تكون هنا أو تكون هنا.

ونحن ننظر لها على أنها كلها حكمة، وأنا أؤكد لكم هنا أن الإنسان لا يمكنه إدراك حكمة الله، يعني ممكن يأتي الإنسان في موقف مثل هذا ويقول: أين الحكمة؟ ويعدّد كذا وكذا وكذا، يتكلم عن أشياء جزئية في حدَث كبير النظر إليه ليس في هذه الجزئية، نتكلم عن تفاصيلٍ اللهُ مطَّلع عليها، لكن حكمته أعظم من هذه التفاصيل التي نتكلم عنها.

وجهل الإنسان بالغيب وجهله بما يحمل هذا الإنسان الذي أمامه، كل هذا يجعله يتأدَّب مع رب العالمين ويعلم أن قدَره كله حكمة.

نحن الآن نريد أن نعرف: ما موقفنا وقت القضاء والقدر؟

- أوَّلًا لا بدَّ أن نعرف كيف يقع القدر، وأنّه بحكمة وليس فيه مصادفة.

- وأنَّ الأسباب ليست هي الفاعلة بنفسها، إنما الأسباب منفعلة بأمر الله، يأمرها فتكون، وينهاها فتمتنع.

- وأنَّه لا أحد من البشر عنده قدرة على منع وقوع ما شاء الله وقدّر.

ولو اجتمع أهل الأرض جميعًا على أن يردّوا حبَّة أرز قد كتبها الله لتلك النملة فما يستطيعون، والأعظم من هذا المثل الذي ضربه الله في القرآن بالذباب ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعوا لَهُ إِنَّ الَّذينَ تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ لَن يَخلُقوا ذُبابًا وَلَوِ اجتَمَعوا لَهُ وَإِن يَسلُبهُمُ الذُّبابُ شَيئًا لا يَستَنقِذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطلوبُ﴾[1]، الذباب يأتي على الماء أو العسل ويأخذ منه، خصوصًا المائعات، هل تستطيعين أن تستنقذي منه شيئًا؟! لا، ضعُف الطالب والمطلوب، فهنا يتصوَّر الإنسان أنه أمام قضاء الله وقدره منفعل وليس فاعلًا، القدَر ينزل عليه.

• ماذا يلزمني لأكون راضية ولأُحقِّق الرضا الحقيقي المطلوب مني؟

هناك خمسة أمور أساسية يتعامل بها الإنسان مع القضاء والقدر ليحقّق هذه القيمة العظيمة (قيمة الرضا)، ويكون بذلك حفظ نفسه من الشيطان إن شاء الله، لأن شياطين الإنس والجن يكون لهم صوت كبير أثناء وقوع الأقدار.

---

[1] سورة الحج: ٧٣.

• خمسة أمور أساسية يتعامل بها الإنسان مع القضاء والقدر •

• الأمر الأوَّل: فهم الحياة الدنيا.

ما هي الحياة الدنيا؟ هل هي دار النعيم والبقاء أم دار الاختبار؟

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1].

هذه سورة الملك التي نردّدها ونحفظها الحمد لله، وورد فيها بعض الآثار بتكرار قراءتها - وإن كان فيها ضعف-، لكن المهم أن تذكّري نفسك في كل قضاء وقدر تصطدمين به في حياتك وفيما قُسِم لك، ذكّري نفسك أنَّ هنا اختبارًا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

الأقدار نفسها التي قُدّرت في السماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ورقة اختبار، أنتِ قُدّر لك قبل أن يخلق الله السماوات والأرض أن يكون لك ابن صفته كذا وكذا، ابن بارٌّ أو ابن عاقٌّ، يحسن إليك أو لا يحسن إليك، ابن صحيح بدنيًّا أو ليس صحيحًا، ابن سيبقى معي أو ابن سيبعد عني، هذا كله مكتوب في القضاء والقدر، وأنتِ لا تقدر ين على تغيير هذا الذي قُدِّر.

إذن ما وظيفتي إذا فهمتِ الحياة وفهمتِ أنها اختبار؟ يأتي الأمر التالي:

[1] سورة الملك ١ - ٢.

• الأمر الثاني: تحقيق الدور المناط بي.

لما تأتيك ورقة اختبار أن هذا الابن وصفه كذا وكذا، مريض مثلًا أو صحيح، فماذا ستفعلين؟ ستجاوبين بكذا وكذا في ورقة الاختبار الخاصة بهذا الابن.

ولذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ لنا الكتاب نتعلم الإجابة منه، عندما أخبرنا رب العالمين عن إهباط آدم إلى الأرض، وتكرر هذا الخبر في القرآن في عدة مواضع، ومِن أظهرها موطن سورة البقرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

وموطن سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[2].

أنت نسيت أن تتعلّم! وهنا نسيت ليس بمعنى غفلت وإنما تجاهلت، يعني تحقيق الدور المناط بي سيبدأ بنقطة التعلّم، يعني ما يصلح أن تواجه الحياة بدون ما تتعلم.

الآيات غاية في الصراحة، أهبط آدم وحواء بعدما أخذوا تجربة في السماء، آدم أين سيكون مكانه أصلًا؟ في الأرض خليفة. ولماذا بقي في السماء؟ لينزل من السماء بالتجربة الكاملة ويعرف نفسه ويعرف عدوه

---

[1] سورة البقرة ٣٨.

[2] سورة طه ١٢٤ - ١٢٦.

ويعرف ربه وكذا وكذا، وليشتاق للجنة هو وذريته أن يعودوا إليها، يعني كأن آدم عليه السلام رأى الجائزة ثم قيل له استقم لترجع لهذه.

وما كانت التجربة خالية من الفائدة بل كانت مليئة بالعلم، فعرف نفسه وعرف عدوّه وعرف كيف يخدعه عدوّه، لأن إبليس قال له ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[1]، يعني هذا الذي يغرك، بنو آدم هذه قضيتهم، شجرة الخلد، ويأخذون من هذه الأدوية ومن هذه ويأكلون كذا ويشربون كذا ويفعلون كذا ويمشون كذا، لأجل الخلد! واستثمروا واستثمروا، مُلك لا يبلى!

المقصد كيف نفهم الحياة ونحقق دورنا المناط بنا في الحياة. والحياة اختبار، ولأجل أن أحقق دوري المناط بي لا بد أن أتعلم لأجاوب عن ورقة الاختبار.

• الأمر الثالث: تصوُّر أن الاختبارات في الأقدار.

- **في الأقدار الثابتة.**
- **وفي الأقدار الطارئة.**

الثابتة: يعني أنت فلانة بنت فلان، من هذا المكان ومن هذه الجهة، وهذا وضع والديك وعائلتك، إلى آخر هذه الأشياء الخارجة عن إرادتك.

نفترض مثلًا أنت بيضاء اللون، أنت سمراء اللون، أنت هيئتك كذا، أنت هيئتك عكسها، هذا بنفسه قدَر، فالمفروض أن أتصوَّر أن الاختبار في هذا القدَر.

[1] سورة طه ١٢٠.

وانظروا للحرب التي تصير مع هذه الأشياء التي قدّرها ربنا علينا ! حرب ما لها نهاية ! ومن الأقدار التي تقع على الناس أن الله يبتلي الناس بمن يسخر منهم، أو يقلل من قيمتهم، أو من يجعل لهذا قيمة وهذا ليس له قيمة، فهذه كلها من الأقدار.

من الأقدار مثلًا أنك تُبتلين بجارة، أو صاحبة أو أخت، وهي التي تقلّب عليك أمرًا هو موجود عند غيرك وليس حسّاسًا له، لكن من كثرة ما تكلمك عن هذا الموضوع صار حسّاسًا ومؤلمًا لك، يعني مثلًا أنت طويلة أنت قصيرة أنت كذا، وطول النهار ينادونك بهذا الأمر ويسخرون منه.

وفي القرآن ذُكرت السخرية كثيرًا وأنها أحد أساليب الضغط على الناس، وهي التي ممكن أن تجعل الناس يفشلون في الاختبار، يعني لا يريد أن يقول له أحد كذا، ولا يريد أن هذا ينظر له أحد هذه النظرة.

الاختبارات متعددة الجهات لكن في النهاية قدَرُك هو اختبارك، لا بد أن تتعلمي لتعرفي أن تجيبي في الاختبار.

هذه النقطة الثالثة في التعامل مع القدر: تصور أن الاختبار في الأقدار، ولكي ترضي بالأقدار استعرضي نفسك (صفاتك النفسية، وصفاتك البدنية، وعائلتك ... إلى آخره)، ثم ابحثي عن النقاط التي ممكن أن تكون نقاط ضعف، ونقاط الضعف لها طريقتان:

- إما هي سبب لانتقاص الناس لي أو استهزائهم.
- أو بالعكس، هي سبب للكِبر مني !

هذه وهذه كلها ابتلاءات.

أنتِ مثلًا من العائلة الفلانية ذات المجد، فممكن أن يكون هذا اختبارًا لك؛ لأنه يسبب لك الكِبر على الناس.

لماذا أنتِ مختارة من بين هؤلاء كلهم أن تكوني من هذه العائلة؟ لأن هذا اختبارك.

لماذا هؤلاء من تلك العائلة؟ لأن هذا اختبارهم.

لماذا هؤلاء لونهم كذا؟ لأن هذا اختبارهم.

قد يكون اختبارهم وقد لا يكون، مثلًا هؤلاء الجماعة نفس اللون في قريتهم أو في مكانهم، فلن يسخروا من بعضهم، لكن يخرج منهم ويذهب لمكان آخر فيُبتلى.

- إذًا الأمر الأول في التعامل مع القدر: فهم الحياة الدنيا، الذي يريد أن يكوّن قيمة الرضا بالقضاء والقدر في نفسه أول شيء يفهم الحياة وأنها اختبار ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، ذكّري نفسك بهذا في كل مرة تتساءلين: لمَ حصل لي كذا؟! نحن لا نحب أن يزعجنا أحد! نريد أن نكون هادئين دائمًا! حتى أولادنا نقول لهم: لا تزعجونا، ومن قال لك إن الدنيا ما فيها إزعاج؟!

أنتِ أصلًا لو صار عندك هدوء تام ستطلبين الإزعاج في أحيان كثيرة؛ لأنه يصير بذلك الوخم، يصير الإنسان كأنه في بيئة مغلقة يُصاب بالفيروسات وغير ذلك!

---

[1] سورة الملك ٢.

- ثم الأمر الثاني: أنتِ في هذا الاختبار لك دور، حقِّقي الدور المناط بك، وهو أن تُجيبي في الاختبارات. وأساس هذا سيكون التعلُّم الذي يبلغ درجة اليقين.

- ثم الأمر الثالث: تصور أن الاختبار في الأقدار، فأنت دورك تحديد الأقدار التي أنت مبتلاة بها بقدر المستطاع، غالبًا الأقدار التي يُبتلى الإنسان بها -وحتى الطارئة- متصلة بالنفس، أنت نفسك عندك نقاط ضعف في طباعك.

سأعيد هذه النقطة وأفصّل فيها أكثر لأن هذه التي فيها المشكلة:

لا بد أن تتصوري الاختبار أنه في أقدارك التي قُدّرت عليك، وحتى نفسك وطباعها مما قُدّر عليك.

مثلًا أنتِ دائمة الغضب، هذا من الأقدار، فماذا تفعلين تجاه هذا القدَر؟ لا بد أن يحصل تزكية وتهذيب، أو أنتِ مثلًا هادئة أكثر من اللازم لدرجة أنك متسيّبة، فتتركين الأمور تذهب، تؤخرين الصلاة إلى أن يخرج الوقت! فتعرفين أن هذا اختبارك، اختبارك أنك حين تقومين تنجزين مهمة -تريدين أن تصلّي مثلًا- تدورين حول نفسك ٣٦٠ دورة! حتى يذهب وقت الصلاة ويدخل وقت الصلاة الثانية!! يوجد ناس هذه طبيعتها، حين تريد أن تفعل شيئًا تأتيها كل الأفكار، وممكن أن يدخل تحت التشتت. فهذا قدَرك، فماذا تفعلين؟ لا بد أن تعالجي نفسك وتهذّبيها، لكن لا تسبّي نفسك كل يوم أنا متشتتة وأنا وأنا...! وبعد ذلك؟! ماذا فعلتِ؟! أنتِ ارضي بأن هذه حالتك، ثم عالجيها.

أو مثلًا يوجد ناس نشيطون جدًا في الطاعات ما شاء الله، لكن بمجرد أن ينتهوا من طاعة يشعرون بأنهم لا بد الآن أن أفسّح نفسي! أدلّع نفسي! وجاء من يطبطب على رؤوسهم ويقول لهم: (دلّع نفسك وفسّح نفسك وأحب نفسك!) وتكون النتيجة أنه يعمل وفي النهاية يفسد عمله!

هذه كلها أمور تتصل بطباعنا وشؤوننا، فماذا تفعلين؟

تصوَّري أن الاختبار يأتيكِ من جميع الجهات:

- من السابقين لك: والديك وعائلتك ومن تكون.
- ومن أندادك: الزملاء، الأصدقاء، الجيران، الزوج.
- ومن اللاحقين بك: أبنائك وأحفادك، وهكذا.
- ومن داخل نفسك أيضًا، أنتِ فيكِ طباع خاصة وتحتاجين أن تلحظي أن هذا الطبع مؤثّر عليك ولا بدَّ أن تعالجيه ولا تستجيبي له.

المهم أنك هنا لتحققي قيمة الرضا، ومن تحقيقك قيمة الرضا: فحص الأقدار من حولك، وتصور أين أنت في هذا الموضوع؟

قيمة مثل قيمة الرضا تُسكّننا وتُهدّئنا وتجعلنا نتعامل مع الأمور بصورة صحيحة قبل أن تقع المثيرات.

فهنا ارضي قبل أن تقع المثيرات التي تجعلك غير متزنة، بمعنى أننا لا نريد أن نأتي بقيمة الرضا لحظة وقوع المثير، بل لا بد أن أكون فاهمة نفسي وراضية بكذا ومتصوّرة ردّة فعلي ومتصوّرة الذي يثيرني.

مثلًا: أنا نتيجة هذا الكلام ممكن أن أغضب، أو أحزن، أو أكتئب، وبهذا الكلام ممكن أن أنسحب، تكون طبيعتي لو أن أحدًا أثارني أنسحب وأتركهم!

وكل مرة أنسحب فأنا أخسر خسارة كبيرة، وكل مرة أفقد علاقات مع الناس بسبب انسحابي. يقال لها: ما بك؟ تقول: ما أحد يفهمني! وهؤلاء كلهم ما يفهمون الموضوع! انسحاباتك هذه المتكررة لا بد ستؤثّر عليك في النهاية، لا بد أنك من تتأثرين بها، فافهمي نفسك، افهمي أنك قلقة مثلًا فعالجي القلق، أنك انسحابية مثلًا فعالجي الانسحاب وواجهي نفسك.

وأنتِ تبحثين عن فهم نفسك لن تتشتتي في العلاج، فعندك المنهج: الكتاب والسُّنة، وعندك الرجاء والدعاء ...

وماذا أفعل إذا كنت لا أفهم نفسي؟ هذه قضية أيضًا، يعني فجأة أرضى عن الموضوع وفجأة أغضب، أنا نفسي لا أفهم!

إذًا ادعي رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى، قولي له: يا رب فهّمني نفسي، فهّمني أين عيبي، وأصلح لي عيبي.

أنت منعَم عليك بهذا الكتاب! تفهمين كيف تنجحين في الاختبار لو فهمت جيدًا أن أصل اختبارنا كله في الأقدار المقدّرة علينا، هذا ليس راضيًا عن شكله، وهذا ليس راضيًا عن زوجه، وهذا ليس راضيًا عن ولده، وهذا ليس راضيًا عن بيته ...

ولأنهم ليسوا راضين فيدخلون في أطماع، ويدخلون في أمور تُشتّتهم وتُتعبهم، وحين تأتي الأقدار عليهم خلاف ما يريدون تصيبهم في مقتل! ينهارون وينتهي الأمر وكأن هذا الإنسان ما يكون إلا بهذا الشيء! وهو إنسان بإنسانيته وليس إنسانًا بما يملك.

نعود للنقطة الثالثة، نحن في هذا اللقاء نتحدث عن الرضا بالقضاء والقدر وهو جزء من قيمة الرضا الكبيرة وأهم أجزائها.

ومدخلنا للرضا بالقضاء والقدر: الرضا بالله ربًّا.

يعني إذا أنتِ راضية به -سبحانه وتعالى- ربًّا حكيمًا مدبّرًا فسندخل على هذه ونقوم بخطوات معيّنة وتُحل المشكلة، لكن لو كان هذا الرضا غير موجود فنحن في أزمة كبيرة!

نراجع ما سبق:

عرفنا أن القدَر قدرة الله، وأنه حكيم، وعرفنا معنى اتصال أسماء الله الخالق والبارئ والمصور.

نأتي إلى أثر هذا عليّ، لترضي بالأقدار حققي التالي:

- **افهمي الحياة**، ضعي دائمًا أمام عينك أن الحياة مكان للاختبار، وليست مكانًا للسكون ولا للهدوء أبدًا.

الإزعاجات إذا ما جاءتك من الخارج تأتيك من داخل نفسك! يعني الناس اليوم وصلوا لدرجة عالية من الرفاهية، لا أنتِ التي تغسلين بيدك ولا أنتِ التي تكنسين بيتك ولا أنتِ التي تعجنين ولا أي شيء، ويصيبك الاكتئاب وغيره من الأمراض النفسية! فصارت الآلام ليست من الخارج بل من الداخل، ولو فهمتِ الحياة فمهما اجتمع الناس ليرفّهوكِ فستبقى الحياة اختبارًا.

وبالمناسبة، لو تأملنا في الحج سنجده صورة لحياة، كل شخص يريد أن يذهب للحج لا بد أن يفكر بنفس الطريقة، لو الحملة تحملك على كفوف الراحة فستبقى الابتلاءات وتبقى الإزعاجات.

الذي يفهم أن الحياة اختبار هل يجلس في الدنيا متّكئًا؟ لا، متى نكون متكئين على الأرائك؟ في الجنة، نسأل الله من فضله. لكن هنا لا يوجد من يتكئ، هنا من إزعاج لإزعاج.

إذا عرفنا أن الدنيا اختبار إذًا أي إزعاج يأتينا فلا نغضب منه؛ لأنك ستتذكرين أن هذه طبيعة الحياة، ونحن راضون بالله وبسننه الكونية والشرعية والقدرية. وأؤكد عليكم أن النقاط السابقة أصل لهذه النقطة.

ثم بعدما آمنت وعرفت أن الحياة هذه وضعها:

- **حقِّقي الدور المناط بك، وهو: الإجابة على الاختبار.**

- **واعلمي أن اختبارك هي أقدارك التي تخصّك.**

فتحقيق الدور المناط بك هو أنك تجيبين على أقدارك، والأقدار كأنها ورقة الاختبار، أنت لن تغيّري الأقدار، أنت فقط ستجيبين على الأقدار، فهذا هو سر الإيمان بالقدَر.

لتتصوَّروا المسألة انظروا إلى اختبارات الأبناء التي بدأت الآن، ما هي سياسة الاختبارات؟ طوال العام يدرسون، ويفهّمونهم جيِّدًا، وفي نهاية العام يختبرونهم، ألم يخبروهم أن هناك اختبارات؟ بلى. هل أوراق الاختبارات مكشوفة أو غائبة عنه حتى تصل له؟ غائبة حتى تصل له.

الحياة نفس القضية، طوال الحياة تدرسين تدرسين، والفرق بين اختبارات الدنيا واختبارات القدَر: أن اختبارات القدَر لحظية على قدر لحظات الحياة، أنت مختبَرة طول الوقت، كل لحظة تأتيكِ ورقة اختبار.

أنتِ عندك كتاب تتعلمينه، وأسئلة الاختبار نفسها غائبة عنك وتفاجئك، لكن أنت عندك علم بأن هناك اختبارات.

هذه هي النقاط الثلاثة:

- مبدأ المسألة أنك تتعلمين حقيقة الدنيا.
- ثم تحققين الدور المناط بك وتجيبين على أسئلة الاختبار.
- ثم تتصوّرين أن الاختبارات في الأقدار، سواء كانت ثابتة أو طارئة.

يعني تفاجئك الأقدار كل حين؛ لتكتبي إجابات صحيحة من دورك في التعلم، فإما ثابتة كطباعك والأمور التي تتصل بك، أو طارئة.

والطارئة متصلة بالثابتة، مثلًا تكتشفين نفسك وتقولين: أشعر أنني أخاف من المرض إلى درجة الوسواس، تستيقظين من النوم تجدين حرارتك مرتفعة أو تستيقظين على خبر انتشار الفيروس الفلاني، فتشعرين أن رجلك ما تحملك! مثل هذه هي اختبارات خارجية أتت على أمور في داخل نفسك.

نحن كلنا بدون استثناء خلقنا الله طمَّاعين ونحب المال، فمثلًا يأتيك اختبار أنه فُتح استثمار كذا وكذا، ولسنا متأكدين أنه خالٍ من الشُّبهة، فتقولين لنفسك: ما دام هؤلاء دخلوه فأكيد إن شاء الله لا توجد حرمة!! ففتح الاستثمار يعتبر بالنسبة لك اختبار.

فالقدر الطارئ لا بد أن يكون متصلًا بالثابت الذي بداخلك، فحين تفحصين نفسك، تفحصين طباع الإنسان التي نحن مشتركون فيها: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[1]، فهذا دورك الآن، مثلًا حين تنقصك أشياء، ودائمًا أضرب مثلًا في هذه الآية بموقف في الحرم، حين تضيق الدنيا بالناس مع هذه التوسعة الضخمة -نسأل الله أن يوسع علينا ويوسع عليهم كما وسّعوا علينا، الله يرحم الملك عبد الله والملك فهد بتوسعتهم-، مع هذه التوسعة الضخمة الدنيا زحام -والحمد لله على ذلك ونسأل الله أن يكثّر المسلمين-، وتدخلين وتجدين الناس مصفوفين، فتقولين: وسِّعوا الله يوسّع عليكم، ربنا يوسّع على من وسّع، وتعطينهم محاضرة في التوسيع وتأتي لهم بآية سورة المجادلة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2]، جلستِ، ثم أتى أحد بعدك، فتجدين نفسك تقولين: لا يوجد مكان! لو كنت جالسة في المكان وجاء أحد لا أعرفه لن أوسع له، لو جاءت ابنتي مثلًا سأوسّع لها وأحشرها! هكذا نحن.

وانظروا كيف يصف الله -عزَّ وجلَّ- ما يجب أن يكون عليه المؤمنون مع بعضهم في سورة المائدة ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3]، وفي سورة الفتح ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4]، يقول الشيخ السعدي: "متحابّون

---

[1] المعارج: ١٩ - ٢٢.

[2] المجادلة: ١١.

[3] المائدة: ٥٤.

[4] الفتح: ٢٩.

متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه"[١١].

فلا بد أن تتصوري طبيعتنا، ولا بد أن تتصوري: أنت جالسة في هذا المكان سيأتيك اختبار، أنت معك هذا المال سيأتيك اختبار، أنت معك هذا الابن أو هذه البنت سيأتيك اختبار، هذه اختبارات طارئة، لكن الطارئة متصلة بالثابتة (صفاتنا).

فمشكلتنا أننا لا نعرف صفاتنا، لا نعرف بماذا ابتُلينا في طباعنا؛ لأن الطباع درجات، توجد طباع الناس كلهم مشتركون فيها، والقرآن أشار إليها والسُّنة كذلك، وتوجد طباع متصلة بالجنس، يعني المرأة لها طباعها والرجل له طباعه، وطبعًا هذه الخلطة التي يصنعونها لو بقوا إلى يوم القيامة فلن يغيّروا شيئًا من سنن الله، أنت لك طباعك الخاصة التي تختلف عن الرجل؛ لأنه هو وظيفته كذا فطباعه كذا، وأنتِ وظيفتك كذا فطباعك كذا.

وأيضًا هذه الطباع فيها ابتلاءات واختبارات، مثلًا أنتِ لا تتصورين أثرك على الرجل لو ليّنتِ كلامك، فتقول النساء مثلًا: لماذا لا يغضُّ بصره؟! أو لماذا يتأثر سريعًا؟! هو خُلق على هذه الطباع، وأنت خُلقتِ على هذه الطباع، أنت تتأثرين بكذا وهو يتأثر بكذا.

فهذه هي اختباراتنا، وأنتِ المفترض أن تتصوري الاختبارات بنوعيها: الثابتة والطارئة، وأنها لن تقف إلى لحظة قبض الروح، لا يوجد شيء

---

[١١] تيسير الكريم الرحمن / سورة الفتح: ٢٩.

سيوقف الاختبارات، لا هجرتك ولا سفرك ولا تركك للناس ولا أي شيء، كل هذا لن يغيّر شيئًا.

فنحن نسمع في القرآن: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]، إذًا ستأتينا اختبارات في هؤلاء، ونسمع عن طباعنا كذا وكذا، مثلًا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[2]، فننتبه أن هذه صفات للإنسان، فنحاول أن نعالجها ونهرب منها؛ لكي نُجيب إجابات صحيحة يرضاها الله حين نُختبر، هذه هي الأقدار اليومية والاختبارات اليومية.

إلى أن تأتي الأقدار المؤلمة، التي يكون الإنسان فيها فقد أمرًا يعزُّ عليه وكأنه جزء من فؤاده، هذه من النوع الصعب الذي أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عنه في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3].

انظروا إلى أول الآية مؤكَّدة بكم مؤكِّد؟ اللام، والنون، هذه كلها تأكيد، يعني كأنه يقال: والله والله سيقع هذا الاختبار، وهذا النوع خُصّ عن بقية الأنواع في آية سورة البقرة.

هذه الاختبارات تأتي في ماذا؟ الخوف، الجوع، ونقص من الأموال، والأنفس، والثمرات، ثم أتت بعدها مباشرة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

---

[1] الأنفال: ٢٨.
[2] العاديات: ٦.
[3] البقرة: ١٥٥ - ١٥٦.

بعد أن تصوَّرنا الاختبارات العامة والخاصة، أو الثابتة والطارئة، سنأتي ونتكلم خاصةً عن هذا النوعِ من الاختبارات الطارئة:

• الأمر الرابع: تصوُّر الابتلاءات الطارئة التي سمّاها الله في سورة البقرة وكيفية التعامل معها.

هذا النوع من الاختبارات خصَّها الله وسمّاها "ابتلاء"، هذه الابتلاءات الطارئة لها طريقة خاصة تزيد أو تختلف عن الاختبارات الباقية، وهي:

١. الخوف.

بمعنى: عدم الأمان.

وطبعًا عدم الأمان له أسباب كثيرة، كالحرب وهو من أهم أسباب عدم الأمان، وهناك أسباب أخص وأخص -نسأل الله أن يؤمّننا في ديارنا ويؤمّن المسلمين-، فهذه من الأشياء التي لا بد أن نستعيذ منها دائمًا ونسأل الله -عزَّ وجلَّ- لإخواننا في كل مكان أن يؤمّنهم في ديارهم.

هذه الابتلاءات العظيمة رب العالمين سمّاها "ابتلاء"، وعظّمها، وأرشدنا إلى ما يجب أن نفعل معها، نحن عادةً نركز على هذا النوع من الأقدار حين نذكر الإيمان بالقضاء والقدر، لكن هذا النوع جزء من نوع كبير، **فلو مرَّنَّا أنفسنا على الذي قبله سيعيننا الله على هذا النوع.**

هذه الابتلاءات الطارئة -الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات- **لا بد أن يقوم الإنسان تجاهها بتحصين سابق**.

وهذا التحصين السابق في ثلاث كلمات:

- **الدعاء.**
- **الشكر على ما هو متوفر.**
- **الرضا بغير المتوفر.**

نفترض أن الإنسان آمِن بنسبة ٥٠% ، فماذا يفعل تجاه هذا الأمر؟ يدعو ربنا أن يؤمّنه، مع الشكر على ما هو متوفر، وهذا الكلام لنا حين نسير في حياتنا ونحن آمنون الحمد لله ونجتمع ونتنقل ونخرج وندخل، ربما لم يخطر في بالنا أن نقول: الحمد لله!

فنُبّهت على أنه لا بد أن يحصل هذا الأمر، نُبّهت لأجل أن تفعل في إيمانك بالقضاء والقدَر أمورًا قبله، **فأين الإيمان بالقضاء والقدر وأنت تدعو وتشكر وترضى على الموجود؟**

الإيمان بأن هذا الجزء من الأمن مقدَّر لي، ويمكن أن أُختَبَر فيه.

الخوف يقابله الأمن، والأمن مقدَّر لي، فلا بد أن تتعامل مع الموجود من النعم بالطريقة الصحيحة وتفهم أنه ممكن أن ينزل قدَر في هذا الموضوع ويذهب! فلا تبقى تعامل الموضوع على أساس أنه مضمون ويقولون لك: الأسباب كالتالي ... أسباب دنيوية!

لا، بل هو قَدَرٌ مقدَّر، اختبارك فيه أن تشعري به وتشكريه، يعني أنتِ آمنة ليس لأنه لا يوجد مخاوف، بل لأن الله قدَّر لك الأمن، والاختبار في أنه قدَّر لك الأمن، فماذا تفعلين؟

تفعلين هذه الأمور الثلاثة:

ترضين بما قُسم لك من الأمن، مثلًا أنتِ في مكان وحصلت حوله سرقة، فتشعرين بالخوف، فهذا الخوف من الأقدار التي قُدّرت عليك أن يحصل لك نقص بهذا المقدار، فترضين بالنقص، وتعرفين أنه تنبيه لك، وتشكرين رب العالمين، وترضين بما قُسم لك، وبمجرد أن تسمعيه تقولين: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه هي العقيدة التي صاحبها مؤمن بالقضاء والقدر.

٢. الجوع.

والحمد لله نحن لا نعرف الجوع ولا أولادنا، لكن هذه البلاد المباركة عرفت الجوع في أقسى أنواعه! لا يوجد أحد مثل أهل هذه البلاد قاسى الجوع، خصوصًا الأراضي الصحراوية؛ لأن غالب البلدان التي يعيش الناس فيها يكون فيها موارد زراعية مهما حصل جدب، لكن أهل الأماكن الصحراوية حين يأتيهم الجوع يكون أقسى ما يكون! الجيل الذي عاش الجوع ماتوا قريبًا، كانوا يحكون أنهم كانوا يعيشون على تمرة واحدة! فهذا الجوع في وقت قريب وليس بعيدًا.

فانفتاح الدنيا ودخولها ما هو إلا قَدَر، فممكن أن يزول هذا القَدَر، ولا نريد أن نخاف خوفًا يسبب لنا القلق، بل نخاف خوفًا يسبب لنا العمل لرب العالمين.

الأسباب المحيطة بالعالم تقول إن هذا الجوع قريب وليس بعيدًا، فالعالم يتحرك بطريقة تدفع الناس لهذا الشيء، لكن مَن يَرُدُّ هذا القَدَر؟ يردُّه الله! فالله على كل شيء قدير.

مهما أخافونا فنحن مطمئنون لرب العالمين، يخيفوننا بالماء؟ نحن مطمئنون لربِّ العالمين، نستسقي ربَّ العالمين فيسقينا، يخيفوننا بالطعام؟ ربُّ العالمين يُخرج لنا من خيرات الأرض ما لم يكن في حسبان أحد، اليوم هذه البلاد المباركة يأتيها الرزق من الأدغال، تشربين هذا الحليب وهو وصل لك من أمريكا الجنوبية، فالبقر يأتي من هناك، أين يعيش البقر في الصحراء؟! من آخر العالم يأتيك الرزق، وهو رزق من رب العالمين، رب الأرض والسماء قدّر أن تكون هذه الخيرات موجودة لأهل التوحيد، فإذا تركوا التوحيد انتهى الأمر! فما لهم إلا التوحيد.

٣. نقص من: الأموال والأنفس والثمرات.

الزلزال جمع كل هذا، الخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس والثمرات، نسأل الله أن يرفع عنهم.

المقصد أن طارئًا مثل هذا الطارئ لا بد أن يشعر الإنسان تجاهه أنه قَدَرٌ مقدور، وأن النظر إليه يبتدئ بالكلمة الأولى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

هذه الكلمة هي عين الإيمان بالقدر، أنني أنا وما أملك والأرض وما فيها لله، يتصرَّف فيها كيف يشاء سبحانه وتعالى، ونحن مؤمنون والحمد لله أنه الحكيم الخبير الرحمن الرحيم، وأن تصرُّفه يجري على الحكمة.

نرجع لما سبق: الدنيا اختبار، وكلٌّ منّا لا بد أن يعرف ما هو الدور المناط به، ثم أن يتصور أن الاختبار كله في الأقدار، ثم يأتي للأقدار المؤلمة الخاصة ويُظهر فيها عبوديته «رضيت بالله ربًّا»[2]، وهي مثل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أنا عبدٌ لله، أنا مُلكٌ لله، والدنيا كلها مُلكٌ لله، فنحن أول ما تأتينا الأقدار -سواء كانت علينا أو على غيرنا من المسلمين- لا بدَّ أن نبتدئ بإظهار أننا عبيد، يتصرَّف فينا المَلِك كيف يشاء.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ لا بدَّ أن نُظهِر لربِّ العالمين هذا الأمر، أنت الملك ونحن العبيد، وأنت تتصرَّف فينا كيف تشاء، نحن لك مستسلمون، ولا يكون في النفس اعتراض على ربِّ العالمين.

---

[1] البقرة: ١٥٥ - ١٥٦.

[2] رواه مسلم (٣٨٦).

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يتصرَّف فينا كيف شاء، وتصرُّفه سبحانه وفق الحكمة، ثم أننا سنعود إليك، ولن يضيع صبر الصابرين، ولن يضيع رضا الراضين، ولن يضيع ما وقع على الناس من آلام!

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يتصرَّف فينا كيف شاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فنتأمل في رجوعنا إليه العوض والجبر، وجنات النعيم والرفعة عنده، وأنك لن تساوي بين الصابرين الراضين المقبلين عليك وبين الساخطين الكافرين بك.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يتصرف بنا كيف شاء وهو الحكيم -عزَّ وجلَّ- ونحن عبيده، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ونحن متأكدون واثقون أنّا إليه راجعون، فكما أنعم علينا بالإيمان في الدنيا يُنعم علينا بجزاء الإيمان في الآخرة.

سلوى المصابين ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

إذا ابتُليت بمن ظلمك فسلواك أنك سترجع إلى رب العالمين، والظلم من الأشياء الكثيرة التي تقع في الدنيا، والناس نتيجة سلطة عندهم أو شيء من هذا صار سهلًا أن يتسلطوا على بعضهم، وأنتِ ما عندك شيء تدفعين به هذا التسلط، فجأة أصبحتِ المظلومة، فهذا قَدَر قدَّره الله عليك، ثم تطرقين هذا الباب فلا أحد يدفع عنك، وتطرقين هذا الباب لا أحد يدفع عنك! حينئذٍ أنا عبدٌ لله -عزَّ وجلَّ- يتصرَّف فيَّ كيف يشاء، وأنا متأكدة أن الحكمة الكاملة في إيقاع هذا عليَّ، لكن هل هذا يضيع؟ هل سأبقى مظلومة ولن أُنصَر؟

بل أؤجر على صبري على من ظلمني وأنا لست قادرة على دفع الظلم، إذا كنتِ قادرة ادفعي الظلم، فالشريعة لا تقول لك: اصبري على الظلم، لكن تعرفون أنه في أحيان كثيرة لا تستطيعين أن تدفعي الظلم، بل إنّ الظالم قد يكون زوجًا أو أخًا أو ظلم في ميراث ... ، وهذا لا يعترف أصلًا أنه ظالم! لكن الله مطَّلِع ويعلم أنه ظالم.

وما دمنا لله ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يتصرَّف بنا كيف شاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فنحن متأكدون أننا حين نرجع عنده -سبحانه وتعالى- فمهما انتصر الظالم في الدنيا ففي الآخرة سيأتي كل عبد منَّا إلى رب العالمين فردًا، ولا يوجد أحد سيدافع عنه، وسيردُّ الله الحق لأهله.

فسلوى أهل الإيمان أنهم إلى الله راجعون، هذا صلب الإيمان بالقضاء والقدر في الأشياء الطارئة.

وكما ذكرنا أن هناك أشياء طارئة عظيمة، وهناك أشياء بسيطة، فالنقطة الأولى: تصوري اختبارك، تصوري النقاط التي عندك فيها إشكال وابدئي في علاجها.

لكن تأتي أشياء طارئة جدًا كما في آية سورة البقرة، تأتي كالجائحة، فهذه حين تأتي ينفعك فيها إيمانك بعظمة الله، إيمانك بأن الله حكيم.

هذا الإيمان يقابله هذه الجملة: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني أنا عبد لله راضٍ بعبوديتي لله، راضٍ بتصرُّفه فيَّ.

النفس تنغزك: لماذا يحدث كذا؟! فتقولين لها: أنا راضية بتصرّف الله، ومتأكدة أن هذا وراءه من الخيرات ما وراءه.

لا بد أن تُسلِّي نفسك بما عند الله، كثير من القرآن نزل على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- تسليةً له، ليتسلّى عن الدنيا وعن مصائبها وعما يقع فيها، بدون القرآن لن تستطيعي أن تتسلَّي.

مثلًا حين يحصل عليك أي موقف من ظلم، من نزع مال ... ثم تعرفين أن أحدًا أكبر منك وأكثر قدرة نُزِع مالُه كذلك، فماذا يحصل في نفسك؟ تتسلَّين وتقولين: من هو أكثر مني وأكبر وعنده قوة تسلَّطوا عليه! فأنا أقل منه وحصل لي كذا.

لكن الأعظم من هذا أن تتسلَّي بما ورد في القرآن، انظروا إلى يوسف ويعقوب عليهما السلام، وانظروا إلى أم موسى، وانظروا إلى مريم، تسلَّي بما وقع عليهم.

كل أنواع البلاءات موجودة في النماذج القرآنية وفي السُّنة، وهل يوجد أكثر من أن يُحبَس النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الكريم على ربه ثلاث سنوات في الشعب؟! ومِن قومه؟! إلى درجة أنهم أكلوا أوراق الشجر!

لكن أمامها الإيمان أننا عبيد لله سبحانه وتعالى، يتصرَّف بنا كما شاء، وأن تصرّفه سبحانه وتعالى في غاية الحكمة، وأننا وراء هذا لن يضيع منا

الصبر الجميل، ولن يضيع ما يفعله الإنسان من حبس نفسه ومعالجته، لا يوجد شيء يضيع أبدًا ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

سؤال: ...

الجواب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ نحن عبيد تحت قهره وسلطانه، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾[3]، ننام والله عزَّ وجلَّ يأخذ أرواحنا، فنحن عبيد راضون بعبوديته، لا بد أن نخرج بـ «رضيت بالله ربًّا» حتى إذا قلبنا في الأقدار نكون راضين به.

بقي معنا كلمة قبل أن ننتقل للأمر الخامس: مر معنا في بعض المناقشات تنبيه حول كلمة: "مركزية الإنسان" أريد أن أؤكد عليه هنا:

من يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، لا تكون نفسه هي المركز عنده ويدور حولها، إنما يكون رضا ربه هو المركز، يعني لو تخيلنا مثل المجموعة الشمسية، الشمس هي المركز وكل شيء يدور حولها -على افتراض أن هذا شكل المجموعة الشمسية- ، فالإنسان الذي يرى نفسه مركزًا كل شيء حوله يريده على رضاه! حتى جيرانه يقترب منهم وفق هواه ويبتعد عنهم وفق هواه.

فهو يعامل الله كما يعامل هذه الأشياء، فيتقرب منه أو يبتعد عنه على حسب هواه! تقترب العلاقة بالله على حسب ما يريد هو، وقت ما يريد من

[1] الحديد: ٦.
[2] الأنعام: ١٨.
[3] الأنعام: ٦٠.

ربنا شيئًا! وتبتعد العلاقة بالله وقت ما يريد! ربنا شيئًا! وتبتعد العلاقة بالله وقت ما يريد!

والصحيح أن نضع المركز في طلب رضا الله، وندور حوله، فبهذا تعرف أنك (لله).

من يضع نفسه هي المركز واقع في مصيبة (الفردانية): (أنا)، (الذات)! وهذه موجة عارمة على العالَم من ستين سنة وما وصلتنا إلا متأخرًا مع هذه الاتصالات، وكثير منكم يذكر ماذا فعلت التنمية البشرية وغيرها وNLP وغيرها: (أنا أستطيع)، (أنا موجود)، (أنا أقدر)! سرّبت المركزية والذاتية للنفس وصارت هي الأساس، وصار كل شيء يدور حولها، حتى علاقته برب العالمين!

وهذا هو سبب صعوبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ الحقيقية على الناس، وهي أني أنا عبد يقلّبني ربي الحكيم كما شاء، أنا راضية بالله ربًّا يربّيني ويدبّرني في كل شؤوني، يقلّبني كيف كان.

وهذا طبعًا نتيجة هذه التربيات والثقافات، صعبت أن تخرج هذه الـ (أنا) من المكان الخطأ وتذهب للمكان الصحيح.

على كل حال، هذه الابتلاءات الطارئة العظيمة الصعبة التي نصّ عليها رب العالمين، حلُّها الحقيقي إظهار العبودية لرب العالمين والرضا به، إنا لله وإنا إليه راجعون.

نأتي للنقطة الأخيرة ليكون هناك إيمان بالقضاء والقدر كما ينبغي:

• الأمر الخامس: تغذية النفس بمفهوم الصبر الحقيقي، الصبر الجميل.

وذاك من خلال نماذجه في القرآن والسُّنة، لا تنتظري المصائب تنزل، نحن كلنا في اختبار، تعلّمي الصبر كما ينبغي لتصبري على طاعة الله، وتصبري عما نهى الله، وتصبري على أقدار الله. فهذا جزء من الرضا.

اقرئي واسمعي عن الصبر كل فترة دوريًّا؛ لأن هذه المفاهيم تندثر مع كثرة المفاهيم الأخرى، ومع النزاعات ومع الاختلاط بالناس، تشعرين بشعور (لماذا أصبر عليهم)؟! مع أن الصبر على الناس مما مُدح في الشرع، قيمة الصبر تحتاج أن تقرئي وتسمعي دائمًا لتغذي نفسك بالطاقة التي تساعدك على أن تكوني راضية بما قدّر الله.

هذا الصبر عند رب العالمين -عزَّ وجلَّ- يوفِّي أصحابه أجرهم بغير حساب،لا يوجد ميزان صبرت هذه الدقيقة وهذه الدقيقة، بل يُصبّ عليهم الأجر! فليس الصبر مثل بقية الأعمال.

ولذلك في الحديث: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له، إلا الصيامَ، فهو لِي، وأنا أجزِي بِهِ»[١] ، لماذا كان هذا أجر الصيام؟ -نسأل الله أن يبلّغنا رمضان ونحن بزيادة إيمان-، يقول أهل العلم: لأنه نموذج من الصبر، فصار الممدوح الأساسي هو الصبر.

---

[١] أخرجه البخاري (١٨٩٤).

هو الذي حين يحصل منك عندما تصبرين وتحبسين نفسك عن أن تردّي الكلمة، وأن تعترضي في فؤادك، وتحبسينها عن أن تتصرفي تصرُّف المعترِض، فترتفعين درجات وتجتمع لك حسنات، فلا يوزن هذا العمل في الميزان، إنما يوفّى أصحابه الأجر بغير حساب.

فتصوري كيف أن هذا عنصر أساسي في كل الحياة، فلا تفقدوا هذه القيمة ولا تغيب عنكم، لا بد أن نقرأ عنها ونكررها ونعيد ونزيد.

القيمة المساندة للرضا هي: الصبر.

لأجل أن تتوفر قيمة الرضا لا بد أن نساندها بالصبر، والقيم لا توجد بمفردها وإنما هي متتابعة، وكلّما صبرتِ وأنتِ منتبهة ومركّزة ستجدين أنه لا توجد نتيجة للصبر إلا الخيرات، يعني كم مرة ربنا رزقك أنك تصبرين لا تخرجين الكلمة من فمك، وبعدما ينتهي المجلس تقولين: الحمد لله أنني ما قلت كذا! هذا يحصل كثيرًا، فالمفترض بعد هذا أن يزيد صبرنا، لكن أنفسنا تخوننا !

المشكلة أننا نقول: صبرت عليهم كثيرًا ! صبرت عشرين سنة!

طيب كمِّلي جميلك هداك الله! ما بقي إلا القليل، فتجمّلي للأخير.

وأنبّهكم أن الشيطان دائمًا يزعجنا حين نريد أن نُتوَّج، الإنسان سيُتوَّج صبره بهذا العمل، فيقوم هو يأتي يفعل بنا الأفاعيل! فأنتم خيّبوا ظن الشيطان.

أسئلة: ...

الجواب: حين أدعو وأشكر وأرضى أكون قمت بدوري، فلو صار أي شيء سأكون هادئة بإذن الله.

القدَر ينزل على الناس وتكون آلامه على قدر قوة إيمان الإنسان أو ضعفه، هو نفس القدَر لكن وقعه عليك أنت مختلف عن غيرك بحسب إيمانك.

جزاكم الله خيرًا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.